قضايا ملحة

حول المسكن الريفي للفلاح المصري

أ.م.د. راوية محمد عجلان

قسم التنمية الإقليمية

كلية التخطيط الإقليمي والعمراني – جامعة القاهرة

ملخص البحث :

يتحدث هذا البحث عن المسكن الريفي للفلاح المصري ، ويبدأ البحث بتساؤل حول المسكن الريفي التقليدي الذي كان يعكس خصائص البيئة المحيطة سواء من حيث توائمه مع متطلبات المناخ أو استخدام مواد البناء الطبيعية المحلية المتوفرة بالمنطقة أو توافقه مع طبوغرافية الموقع ، فضلاً عن تعبيره الواضح عن العادات والتقاليد السائدة .

لقد كان هناك ثمة قصور في أداء هذا المسكن للوظائف المطلوبة منه في بعض النواحي ، لكن كان هناك أيضاً العديد من الأفكار التي تقدم الحلول العملية لهذه السلبيات .

فلماذا إذاً لم يسير تطور هذا المسكن التقليدي في المسار الطبيعي له ، لقد كانت ولازالت العلاقة طردية بين معدل تطوير المسكن وبين ارتفاع القدرة المادية ودرجة الاتصال بالعالم الخارجي .

وكان من الممكن أن يسير خط التطور الطبيعي والمنطقي للمسكن الريفي السابق في طريقه العادي لو لم تكن السبعينيات والثمانينيات قد أتت بمتغيرات حادة على مستوى العالم والدولة أثرت على الفلاح المصري بأشكال قد تكون متوقعة ... إلا أنها خارج السياق الطبيعي للتطور .

يقودنا ما سبق إلى مجموعة من القضايا الملحة في الوقت الراهن :

- أول هذه القضايا يتعلق بالتعرف على التغيرات الاجتماعية الاقتصادية للفلاح المصري في نهاية القرن العشرين .
- ثاني هذه القضايا يتعلق بإشكالية التنمية المتواصلة المثارة على مستوى العالم كله في العقدين الأخيرين بعد أن بدء العالم يشعر بكمية الإهدار والإستنزاف للموارد الطبيعية المحدودة .
- ثالث هذه القضايا يتعلق بدخول مصر في دائرة البلدان ذات الكوارث الطبيعية المتباينة والمتكررة .

لابد لنا في النهاية أن نجمع جهودات الباحثين المصريين جميعاً في بوتقة واحدة لنخرج بتصور قومي على مستوى الأقاليم المصرية يراعي القضايا الثلاث السابقة ويقدم لنا خريطة جديدة تكون بمثابة مرشد يسير على هداه مسئولي التعمير في المحافظات والمحليات المختلفة تبدأ من تنميط على المستوى الإقليمي يشمل مناطق الامتداد والتجمعات الجديدة ، تصميمات الأبنية المختلفة ، مواد وطرق البناء وخطوط التنظيم .

الكلمات الدالة: المسكن الريفي – الفلاح المصري – التنمية المتواصلة – الكوارث الطبيعية

فهرس الموضوعات

(١) ما كان يطلق عليه المسكن الريفي التقليدي

١-١ مسكن الريفي التقليدي

١-٢ الأفكار والحلول العملية لسلبيات المسكن الريفي التقليدي

١-٣ العلاقة الطردية بين معدل تطوير المسكن وبين ارتفاع القدرة المادية والثقافية للسكان

١-٤ خط التطور المنطقي لعمارة المسكن الريفي التقليدي

(٢) كيف نميز بين ما هو نابع من منطق طبيعي للتطور وبين ما هو مشوه.

٢-١ في مواجهة إهدار الطاقة والموارد الطبيعية – إهدار الفكر الإنساني والثقافة المحلية.

٢-٢ إدراك القيم الجمالية الموجودة وحلول العديد من المشاكل

٢-٣ انتقاء المراحل الانتقالية الوسيطة بين مراحل التطور.

(٣) قضايا ملحة:

٣-١ التعرف على التغيرات الاجتماعية الاقتصادية للفلاح المصري

٣-٢ إشكالية التنمية المتواصلة.

ما كان يطلق عليه المسكن الريفي التقليدي:

١-١ كان لدينا في مصر – إلى وقت قريب[*] – ما يمكن أن يطلق عليه "المسكن الريفي التقليدي" وكان من الممكن التعرف بسهوله على خصائص هذا المسكن.. التصميمية المعمارية، الإنشائية والجمالية، والوقوف على التباينات المعمارية الإنشائية من منطقة لأخرى[**] حيث الاختلاف الواضح بين مساكن فلاحي الدلتا وفلاحي الصعيد أو النوبة.. الخ. والتي تعكس بشكل صريح خصائص البيئة المحيطة سواء من حيث تواءم المسكن مع متطلبات المناخ –على سبيل المثال– أو استخدام مواد البناء الطبيعية المحلية المتوفرة بالمنطقة أو توافقه مع طبوغرافية الموقع، فضلا عن تعبيره الواضح عن العادات والتقاليد السائدة للحياة اليومية وأساليب المعيشة وكذلك المعارف الهندسية الموروثة والخبرات البنائية المكتسبة على مر السنين.

فالمسكن النوبي – وفي بعض مناطق الصعيد– كان يتميز بحوائطه السميكة (من الطوب النيئ) والسقف المقبى من نفس المادة ذات القدرة العالية على العزل الحراري، وحيث كانت إمكانية الأمتداد الأفقي للتجمع العمراني في بعض المناطق الصحراوية كسيناء أو الوادي الجديد اتسعت مساحة المسكن، وحيث كان الحرص على الأراضي بالمناطق الزراعية في الوادي. والدلتا قلت مساحة المسكن التقليدي –دون أن يخل هذا بأدائه لوظائفه– وعرفت هذه المناطق قبلى غيرها الامتداد الرأسي الذي يتميز أيضا بخصائصه الواضحة حيث تمثل في غرفة أو غرفتان فوق الغرف الأمامية للمسكن بالتحديد (المندرة وغرفة النوم الرئيسية).

كان كذلك لمادة البناء الطبيعية (غير المصنعة) المتوفرة في المنطقة، الدور البارز في إنشاء المسكن – بحيث توفر الحجر الجيري في بعض المناطق الساحلية أو بعض قرى الصعيد القريبة من الهضاب الشرقية أو الغربية. بني المسكن بالحجر الجيري وحيث توفر النخيل في سيناء. استخدم الاستخدام الأمثل. وعندما تميزت التربة في بعض مناطق الدلتا بارتفاع منسوب المياه الجوفية بني الجزء السفلي من الحوائط إما بالحجر الجيري إذا توفر أو بالطوب الأحمر المحروق.

---

* حوالي نهاية الستينات وبداية السبعينات.

** كان هناك تنميط ضمني للمسكن في المناطق المختلفة سواء لدى السكان المحليين أو لدى المتخصصين.

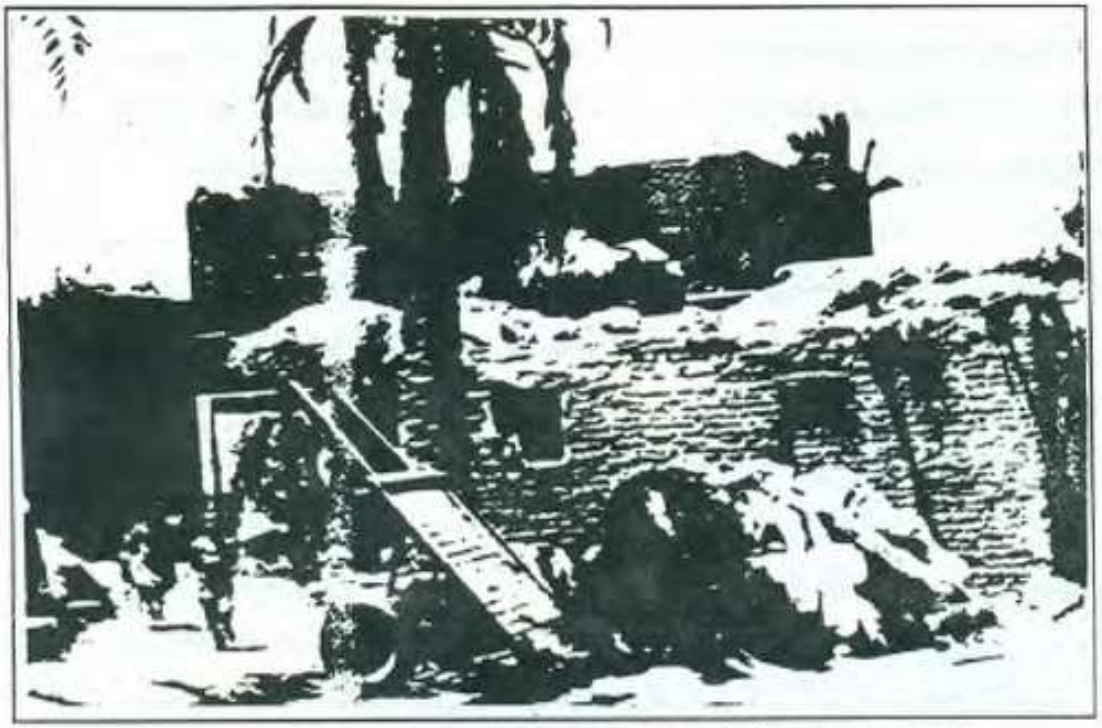

كان من الممكن إلى وقت قريب التعرف بسهولة على خصائص المسكن التقليدي بالدلتا

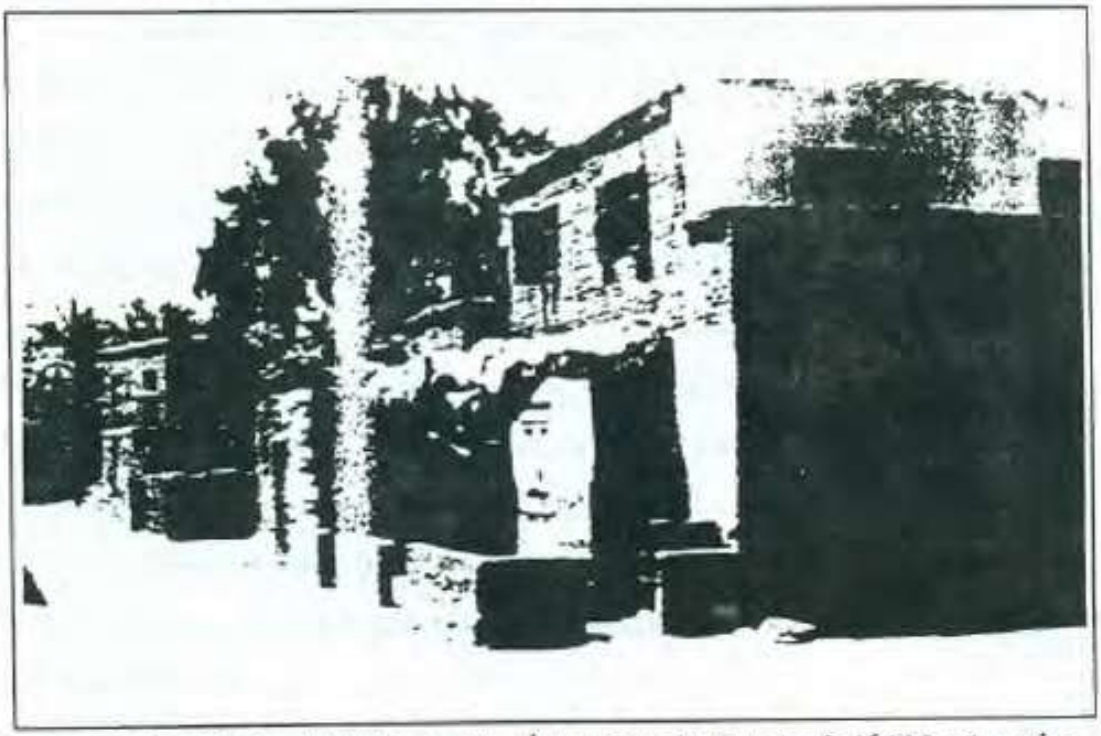

عرفت مساكن الدلتا قبل غيرها من المناطق الارتفاع الرأسي للمسكن نظرا لضيق الرقعة البنائية نظرا لندرة الأرض الزراعية

١-٢ وإذا كان هناك ثمة قصور في أداء هذا المسكن للوظائف المطلوبة منه في بعض النواحي المتعلقة بالمتانة الإنشائية (أسقف من جذوع الأشجار في مناطق ممطرة) أو الصحة البدنية أو النفسية للسكان (اختلاط السكان بالحيوانات أو التزاحم..الخ). فقد كان هناك العديد من الأفكار التي تقدم الحلول العملية لهذه السلبيات سواء من قبل المهندسين الإنشائيين أو المعماريين، والتي كانت في معظمها في إطار الإمكانيات المادية للفلاح المصري وقدرته على استيعاب التقنيات الهندسية البسيطة. (*)

ورغم أن بعض هذه الأفكار فشل غالبا لقصور في عملية تقديم هذه الأفكار إلى المستفيدين الأساسيين منها أو عدم طرحها بطريقة تساعدهم على تقبلها. إلا أنه على الجانب الآخر كان سكان الريف المصري يقومون بأنفسهم بعمليات تعديل وتطوير مستمرة لا تخرج بالمسكن عن خصائصه العامة التقليدية وإنما تحسن وتطور فيه.

١-٣ بالطبع كان المحدد الأساسي لهذه العملية هو قدرة السكان المادية ودرجة الاتصال بالعالم الخارجي التي تزيد من المعارف والخبرات ويصبح فكر الإنسان هنا ليس ناتج فقط عن احتكاكه المباشر ببيئته المحيطة وإنما بالبيئات الأخرى المختلفة.

وكانت ولا زالت العلاقة طردية بين معدل تطوير المسكن وبين ارتفاع القدرة المادية ودرجة الاتصال بالعالم الخارجي أحدهما أو كلاهما متأثرين بالسياسة الزراعية للدولة، المتغيرات السياسية على مستوى الشرق الأوسط وحتى متغيرات عالمية.

في الأربعينات وبداية الخمسينات تأثر الاقتصاد الزراعي المصري بمتغيرات عالمية ناتجة عن الحرب العالمية الثانية والأزمات الاقتصادية الناتجة.. فكان هناك تأثير سلبي على الحياة المادية لسكان الريف، إلا أن النهضة الوطنية العامة في تلك الفترة والتي زادت من درجة احتكاك أهل الريف بالحضر وغيرت بعض الشيء من الهيكل الاجتماعي والطبقي والوعي العام لأهل الريف وأهم من كل ما سبق.. القدرة على رفض الواقع والقدرة على الطموح للأفضل في مواجهة ظواهر الاستسلام والسلبية السابقة لدى سكان الريف المصري بشكل عام. أثر هذا بالطبع على درجة الوعي بسلبيات المسكن والرغبة في تطويرها، وربما حدث القدرة المادية من تلك الرغبة وتلك الطموحات.

(*) من الواجب أن نذكر هنا دراسات الدكتور العروسي (أستاذ هندسة عين شمس) في مجال الأسقف.

أتت الفترة اللاحقة بمتغيرات مختلفة في السياسة الزراعية للدولة انعكست أساس على زيادة القدرة المادية للسكان بعض الشيء مع ثورة في الأبنية الحضرية الخصائص الوافدة على القرية (المتمثلة في الوحدات المجمعة وما حولها من مدارس أو مساكن موظفين.. الخ)، ودرجة احتكاك عالية بالحضر المصري متمثلة في متعلمي القرية وفقراء القرية المهاجرين للبحث عن حياة أفضل. فبدأت القرية تعرف على نطاق أوسع مما سبق الطوب الأحمر والخرسانة المسلحة وحتى شبابيك الحضر المختلفة تماما بدأت تدخل على استحياء في بعض المساكن.

من المهم أن نلاحظ أنه سواء في الأربعينات أو الخمسينات أو حتى الستينات وبغض النظر عن كون معدل التغير بطئ في بعض الفترات أو سريع في بعضها الأخر، شديد في المناطق القريبة من الحضر أو لا يكاد كلما ابتعدنا. إلا أن مجمل ظواهر التغيير والتطوير كانت لا تخل بالخصائص العامة الموروثة للمسكن والمتوائمة مع البيئة المحيطة ومع النشاط الأساسي للسكان وتنحصر في تطوير ما هو قائم.

٤-١ كان من الممكن أن يسير خط التطور الطبيعي والمنطقي السابق في طريقه العادي وتنحصر المشكلة في زيادة سعي الباحثين المصريين لسبل الاقتراب من فكر ونمط حياة الفلاح المصري وسبل الإيصال الأبسط ودرجة من التوائم أعلى مع البيئة.

لو لم تكن السبعينات والثمانينات قد أتت بمتغيرات حادة على مستوى العالم والدولة في الاتجاهين[٣] أثرت على الفلاح المصري بأشكال قد تكون متوقعة.. إلا أنها خارج السياق الطبيعي للتطور.

---

* نقصد تأثيرات سياسية عالمية من م تغيرات شرق أوسطية أثناء وبعد حرب ١٩٧٣ أو متغيرات في القوى العظمى الدولية أو في ظهور تكتلات إقليمية عالمية جديدة انعكست على السياسة الداخلية للدولة في جميع المجالات، من أهمها العمرانية والزراعية والصناعية كذلك في الاتجاه المقابل من تغير للسياسات المنظمة والموجهة للعمل داخل الدولة وانعكاساتها على السياسة الخارجية للدولة من فتح من السماح أكبر بالهجرات مع الخارجية للسكان وباستقبال الاستثمارات الأجنبية للداخل.

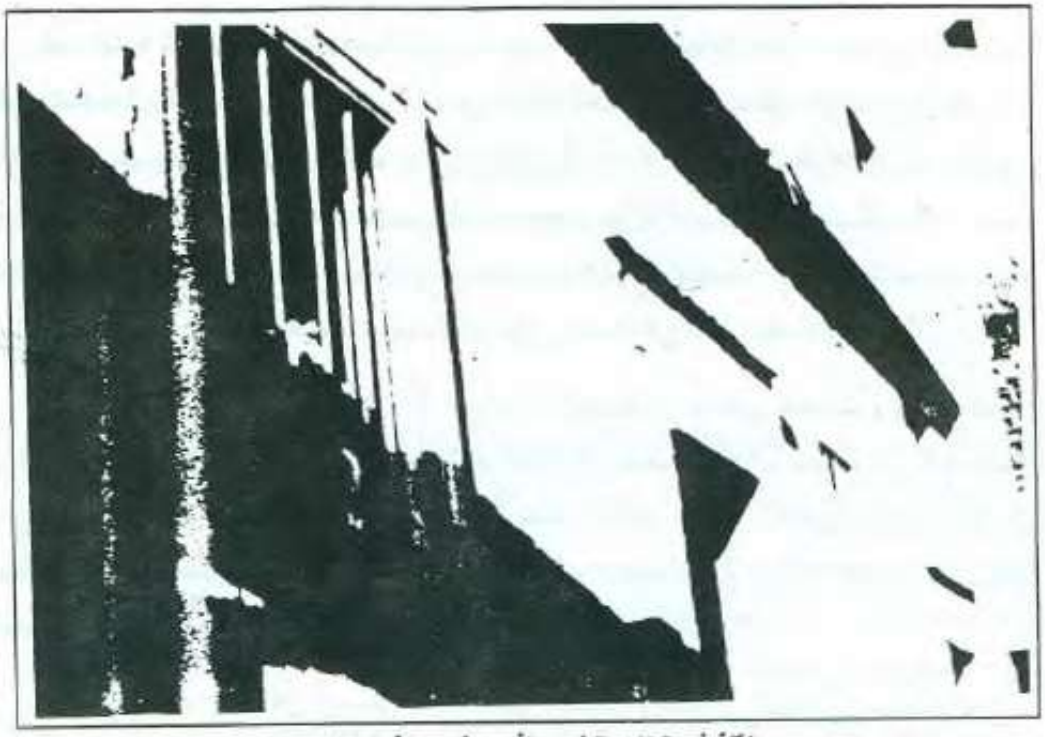

نقلة في البناء بالطوب الأحمر في بداية الستينات

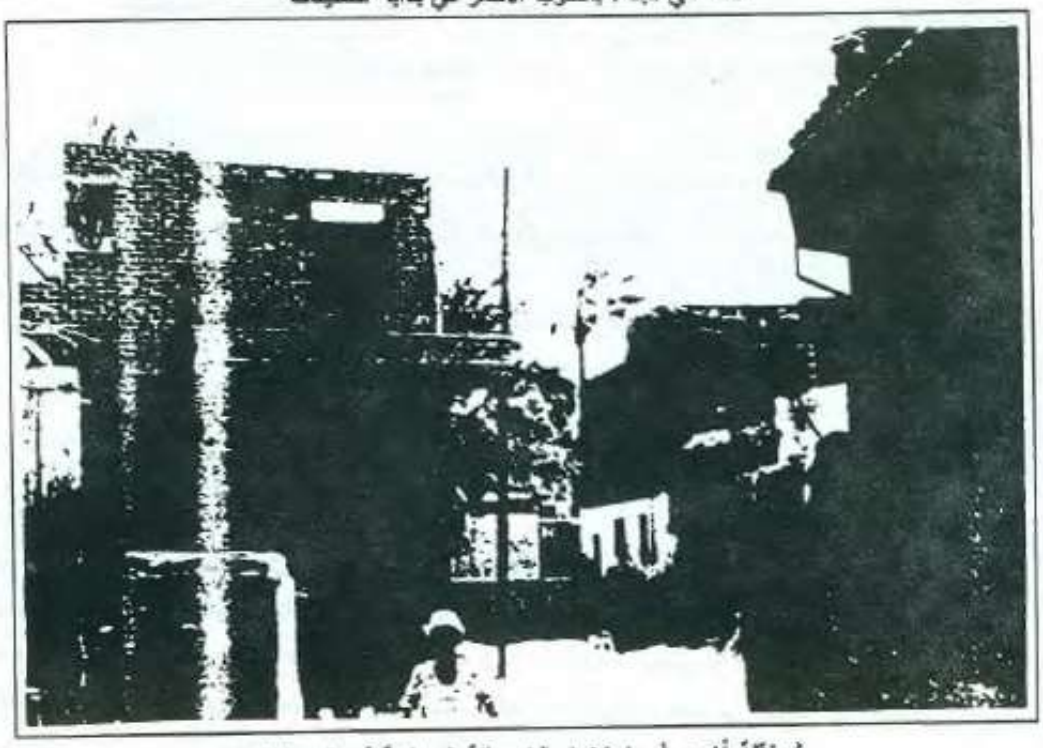

ثم نقلة أخرى في استخدام الخرسانة المسلحة في السبعينات

بمعنى أنه على مستوى أشكال الاتصال بالعالم الخارجي كانت النقلة فجائية من الراديو الترانزستور إلى الفيديو وربما الدش دون أن تمر بالجريدة والكتاب أو السينما والمسرح..وبدلا من أن يحدث انتقال للثقافةوالوعي المحليين للأمام،انضمر تحت التراب في مواجهةثقافة واردة غريبة

قد يتبادر إلى ذهن البعض أننا ضد احتكاكات ثقافات الشعوب ببعضها البعض ولكن ليس هذا المقصود إطلاقا – وإنما نؤكد على أن حتى عملية الاحتكاك تلك مطلوبة ومهمة، ولكن من غير المطلوب قتل ثقافة في مواجهة ثقافة أخرى.

٢– كيف نميز بين التطور الطبيعي والتطور المشوه

٢–١ قد يكون شيء مضحك أن تملئنا الحسرة على قوالح الذرة التي كانت تستخدم كوقود وتعتبر الآن من الفضلات العديمة النفع، أو نفايات الحيوانات المستخدمة كسباخ للأرض، أو الطيور المنزلية التي تعيش على فضلات الأسرة أو الأدوات المنزلية المصنوعة من الخامات المحلية سواء هي فخار أو جريد أو خوص.. الخ أو شريط الرسومات الملونة للطيور والأزهار على الحوائط الداخلية من ألوان مصنعة من النباتات الطبيعية.

نقول: قد يكون شئ مضحك أن تملئنا الحسرة على عشرات بل ومئات الأمثلة لسبل إهدار الطاقة وإهدار الموارد الطبيعية وإهدار للفكر الإنساني والثقافة المحلية يشعر بها أكثر ما يشعر العلماء المهتمين بعلوم التنمية المتواصلة والحفاظ على حقوق الأجيال القادمة بدءا من الحفاظ على الموارد الطبيعية المتوفرة انتهاء بالحفاظ على الفكر المحلي والخبرات المتوارثة.

٢–٢ نحن كمهندسين معماريين كنا ندرك ما لنافذة المسكن الريفي(*) من جمال خلص .. مميز وربما كمخططين عمرانيين كنا نقف مبهورين أمام اللوحة التكعيبية التي تخلقها أسطح المنازل مع فراغات الاحواش في تلاحمها النهائي مع الخط الأخضر للحقول المصرية المنبسطة في هدوء جميل حتى خط السماء الأزرق. كما كنا ندرك عدم وجود أي خطوط تنظيم تحكم طرق ومسارات القرية أو حقوق الجوار أو مداخل منفصلة للحيوانات وأخرى للسكان أو الفرن الذي يحرق غاز الأكسجين داخل غرف النائمين. كنا نرى الجمال الموجود كما كنا ندرك حلول المشاكل.

---

* نافذة الدور الأرضي المستطيل رأسيا ومنقسم أفقيا إلى جزئين بضلف خشبية منفصلة للجزء الأسفل عن الجزء الأعلى بعوارضه الحديدية.

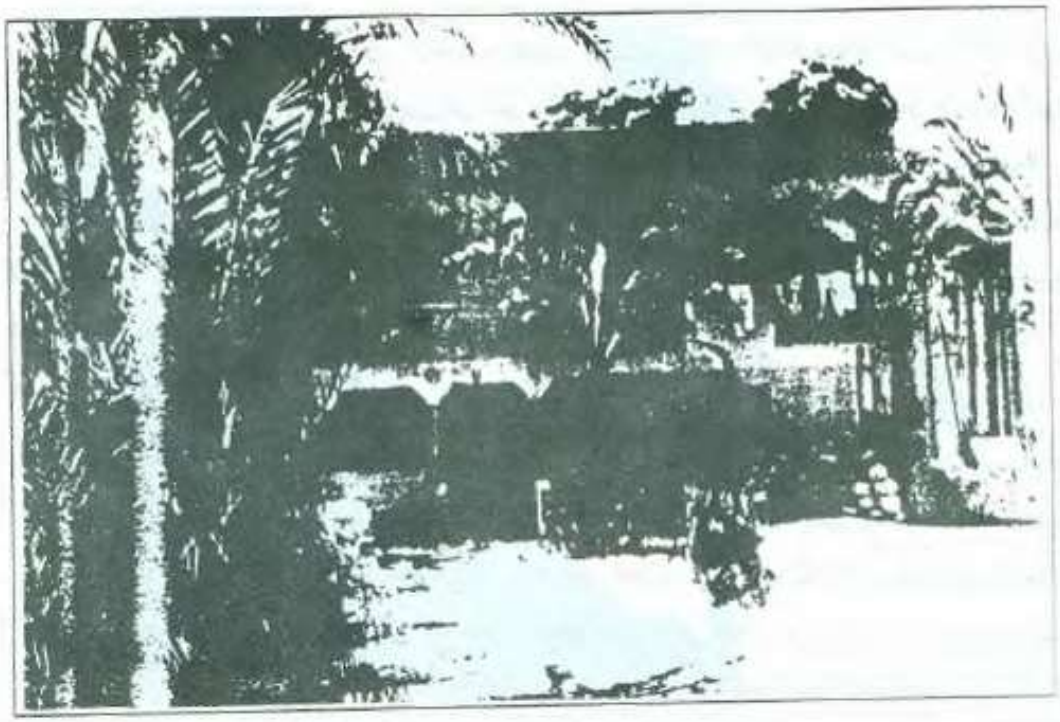

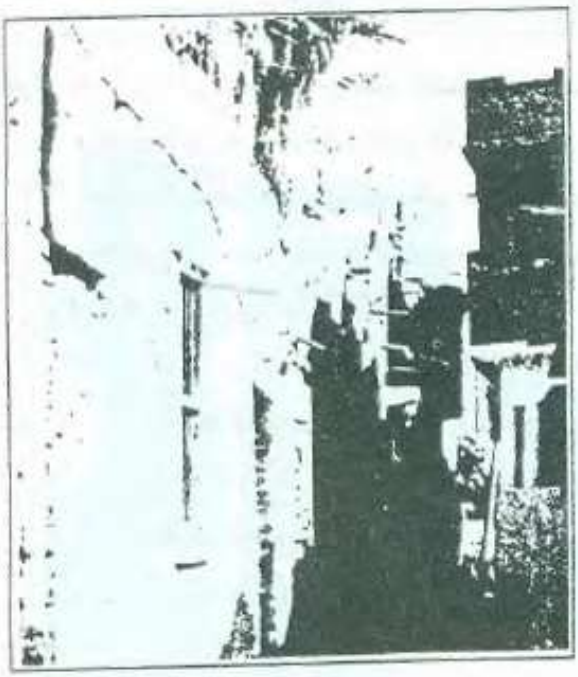

التناقض بين القديم
والحديث داخل القرية
الواحدة

فقد استلهم مهندسنا المعلم حسن فتحي بحل للقرن البدوي التقليدي يحافظ عليه ويطوره وأمدنا آخرين بتصميمات تعزل مدخل الحيوانات عن مدخل السكان ولا تخل بشخصية المسكن وأمدنا المهندسين الانشائيين بطوبة تتحمل الرطوبة -من الطفلة- رخيصة .. الخ ولا تسبب تجريف التربة وتحقق الارتفاع الرأسي.. كما أمدنا المخططين بسبل عديدة لوضع خطوط تنظيم لا تخل بالنسق العمراني للقرية وفي نفس الوقت تحقق سهولة الحركة وتعطي المستويات المختلفة للطرق..الخ.

باختصار قدم علماؤنا جميع أو فلنقل معظم الحلول التي يحتاجها المسكن الريفي التقليدي والقرية المصرية.

٢-٣ ذكرنا في النقطة (١-٤) أن انعكاس متغيرات الثمانينات وما تلاها أتى بأشكال تتطور خارج السياق الطبيعي. بمعنى أن السكان الريفيين قفزوا من الراديو إلى الفيديو ومن الكانون إلى البوتاجاز ومن الطوب النيئ إلى العمارة(*) المتعددة الطوابق ومن الشباك الريفي قفزا إلى الشرفة (المدينية الشكل والمضمون) دون المرور بمراحل انتقالية وسيطة أو فلنقل أنها كانت سريعة غير محسوسة.

نستطيع أن نتخيل معا أن خط التطور الطبيعي كان سيأتي لنا بمسكن ريفي حديث، ابن المسكن القديم ويرث في طياته (كما يرث الابن أبيه) بعض الجوانب والسمات الأساسية ويطور البعض الآخر دون أن يخرج عن الإطار العام لهذا الأب.

وكما هو الحال عادة فان الخروج عن نسق الحياة الطبيعي يأتي بظواهر مشوهة غير منطقية وغير مبررة وأحيانا عمرها قصير. فكيف نميز بالنسبة للمسكن الريفي الحال بين ما هو أصيل ونابع من منطق طبيعي لتطور الأشياء وبين ما هو مشوه وغير منطقي وربما عمره قصير (كما تقول طبائع الأمور أن كل مشوه عمره قصير).

---

* بالطبع مرورا بالطوب الأحمر في فترة زمنية قصيرة ونقول العمارة لأننا نقصد بالتحديد أنها ليست مسكن ريفي متعدد الطوابق وإنما هي منشأ حضري بكل ما تحمل الكلمة من معاني.

كان من الطبيعي أن يأتي لنـــا
خط التطور بمسكن ريفي حديث
يرث فـــي طياتـــه خصـــائص
المسكن الريفي التقليدي

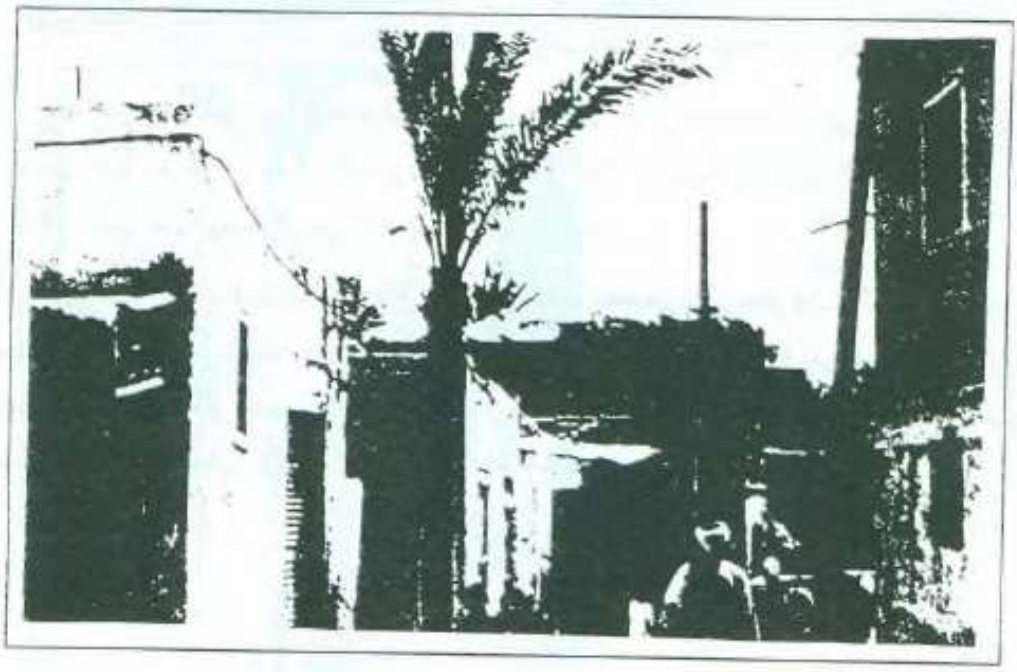

هل نستطيع أن ندعي كمتخصصين أن الشرفة (المدينية) وارد غريب على القرية سرعان ما ستلفظه وتعود لتخلق شرفتها الريفية الخاصة المتوائمة مع النسق الريفي العام(*). وهل نستطيع أن نذهب بخيالنا لتصور هذه الشرفة الريفية معماريا كيف تكون؟ هل نستطيع أن ندعي أن الكانون سينتفي دوره إلى الأبد في المسكن الريفي المصري(**) أم أنه سيعود مرة أخرى بشكل مغاير (ربما أكثر تطورا) أو سيعود جنبا إلى جنب مع البوتاجاز مثلا. هل ضروري أن نضع في اعتبارنا عند تصميم مكان للمعيشة في المسكن الريفي وجود مكان خاص للتليفزيون وفيديو (مع تحديد أماكن للإرسال الخارجي) أما أنه سينحصر دوره نوعا ما مع بروز دور للفن الشعبي في الموالد الريفية أو زجال القرية أو الغجر المتنقلين أو ربما المسرح الريفي والنادي الاجتماعي الريفي.

أستطيع أن ألخص ما سبق في سؤال واحد كبير يواجهنا.

ما الجديد الذي سيبقى؟

وما الجديد الذي سيلفظ؟

ما القديم الذي سيحيا أو يتطور؟

وما القديم الملفوظ الذي تشير الدلائل إلى أنه سيعود؟

وما القديم الذي انتهى دورها تاريخيا؟

هذا سؤال سلبي نتعرف بعد الإجابة عليه على الواقع الجديد لريفنا.

أما السؤال الإيجابي فهو : اين نحن مما سبق..

ما الجديد الذي يجب أن نحافظ عليه ونطوره؟

وما الجديد الذي يجب أن نعمل على التخلص منه؟

ما القديم المطمور الذي يجب أن نحييه على حاله؟

وما القديم الذي يجب أن نحييه ونطوره؟

وما القديم الذي لا زال موجود ويجب التخلص منه؟

وما المفتقد وحبيس أدراجنا ويجب أن يخرج؟

---

* هذا إذا أخبرنا علماء الاجتماع أن الشرفة احتياج اجتماعي جديد لأهل الريف وضرورة لسكان الريف المصري في أواخر القرن العشرين.

** فلا نضعه في اعتبارنا عند تصور تصميمات جديدة للمسكن ونصمم بدلا منه المطبخ المديلي.

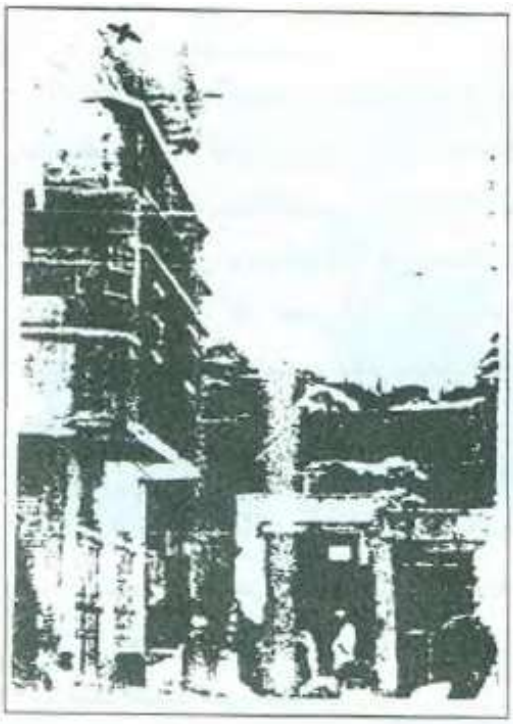

الشرفة المدينية هل هـي وارد غريـب
على القريـة سـرعان مـا تلفظـه أم
ستصبح سمة معمارية أصلية مع الزمن

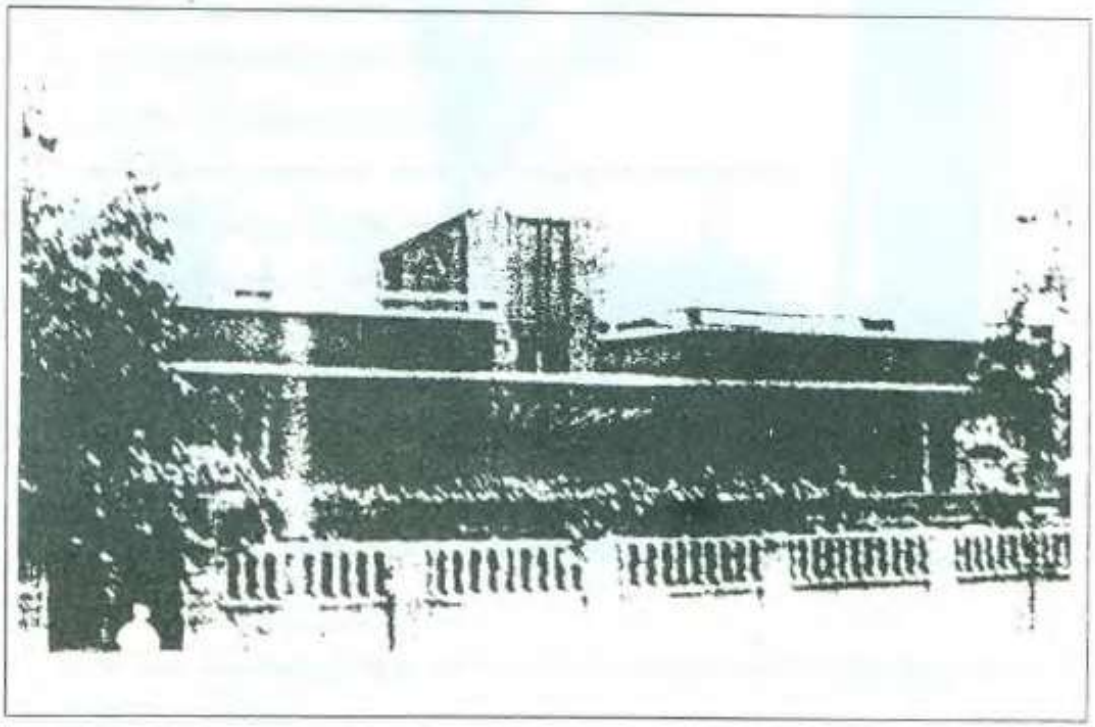

نستطيع أن نلخص ما سبق في:

١-١ كان لدينا في مصر إلى وقت قريب ما نطلق عليه "المسكن الريفي التقليدي".

١-٢ كباحثين كنا نرى بعض النواقص في أداء هذا المسكن لوظائفه وكانت هناك العديد من الدراسات تقدم حلول هذه المشاكل لكن مع قصور في إيصال هذه الأفكار إلى المستفيدين منها.

١-٣ على الجانب الآخر كان سكان الريف يقومون بعمليات تطوير مستمرة تبدأ من عام ١٩٤٠ إلى ١٩٧٠ والعلاقة (طردية) بين معدل التطوير وبين ارتفاع القدرة المادية ودرجة الاتصال بالعالم الخارجي، تنحصر ظواهر التغيير في تطوير ما هو قائم.

١-٤ كان من الممكن أن يسير خط التطور في مسيرته الطبيعية لو لم يكن العقد السابع والثامن قد أتى بمتغيرات حادة اثرت بأشكال خارج السياق الطبيعي للتطور بدلا من أن يحدث انتقال تدريجي للثقافة والوعي المحليين للأمام، اضمروا تحت التراب في مواجهة ثقافة واردة.

٢-١ كيف انعكس هذا على المسكن الريفي

- إهدار الطاقة
- إهدار للموارد الطبيعية
- إهدار للفكر الإنساني والثقافة المحلية والخبرات الموروثة.

٢-٢ يرى علماءنا جمال المسكن التقليدي كما يروا نواقصه وقد قدمت بالفعل معظم الحلول التي كان يحتاجها هذا المسكن على مدى الثلاث عقود الماضية.

٢-٣ متغيرات الثمانينات أتت بأشكال خارج السياق الطبيعي للتطور لو أنه كان في سياقه الطبيعي لكنا توقعنا خط سيره – وأضفنا إليه إلا أنه هناك قفز من وإلى مع سرعة أو عدم مرور بالمراحل الوسيطة.

كيف نميز التغيرات العديدة بين ما هو أصيل ونابع من المنطق الطبيعي لتطور الأشياء وبين ما هو مشوه وغير طبيعي وغير مبرر، بين ما عمره قصير وما سيستمر.

ما هي أخطاءنا السابقة ولماذا لم نصل لمن يجب أن نصل إليهم في الوقت المناسب وكيف نصحح هذه الأخطاء؟

٣- قضايا ملحة

يقودنا ما سبق إلى مجموعة من القضايا الملحة في الوقت الراهن:

٣-١ أول هذه القضايا يتعلق بالتعرف على التغيرات الاجتماعية أساسا والاقتصادية الخاصة بالفلاح المصري في نهاية القرن العشرين وتنبؤاتها للفترة اللاحقة حتى نستطيع كمهندسين أن نتخيل صورة للمسكن الريفي الحالي أقرب ما تكون إلى الواقع.

كان علماء الاجتماع يتحدثوا في المتينات عن قرب انتفاء دور الأسرة الممتدة في الحياة الاجتماعية والاقتصادية لسكان الريف في مواجهة ازدياد دور الأسرة النووية كظاهرة تطورية طبيعية.. وبالطبع انعكست هذه المقولة على فكر ودراسات وتصميمات المهندسين في مجال الريف المصري وكذا على المخطط العمراني لمواجهة آثارها على سرعة الامتداد الأفقي للتجمعات الريفية.

لاحظ معظمنا عودة الروح في دور الأسرة الممتدة اجتماعيا واقتصاديا وبناءيا في الريف وأحيانا في المدينة. في شكل جديد، بمعنى أن الأسرة كلها (الأب والأبناء الذكور والأحفاد) تقيم في مسكن واحد إلا أنه ممتد رأسيا (في شكل عمارة سكنية) بدلا من أن يمتد أفقيا (كما كان في الماضي). تحقق هذه العمارة السكنية طموحات سكان الريف الحالية بالتشبه بالمدينة في كل عناصر الشقة الحضرية بدءا من غرف الطعام والصالون.. انتهاء بالشرفة والشباك الحضري.. كما تحقق لهم الأنشطة الريفية الاقتصادية المتمثلة في الفرن البلدي والحظيرة التقليدية، صوامع الغلال.. الخ في الفراغ الخلفي لهذه العمارة - كما قد يمارس الأبناء قدر الحرية المطلوب لهم في نهاية القرن العشرين.

والسؤال الآن.. ما هي أبعاد هذه الظاهرة اجتماعيا واقتصاديا؟

- ما هي أفق انتشارها في القرية أو في قرى معينة أو عند فئة معينة؟

- ما تأثير هذا على نمط الاقتصاد الزراعي وانعكاسه بالتالي على المتطلبات التصميمية لهذه العمارة؟
- ما تأثير هذا على حسابات المخططين الخاصة بمعدل النمو الأفقي للقرية؟
- هل هو حل عملي مطلوب تصميمه أم له مضار هندسية للقرية، تخطيطية وربما اجتماعية؟

يمثل المثل السابق واحد من عشرات الأمثلة التي تحتاج إلى إجابات حتى تساعدنا على الوصول إلى صورة أقرب إلى الواقع فيما يتعلق بالخصائص الجديدة للمسكن الريفي المصري في نهاية القرن العشرين.

٣-٢ ثاني هذه القضايا يتعلق بإشكالية التنمية المتواصلة المثارة على مستوى العالم كله في العقدين الأخرين بعد أن بدء العالم يشعر بكمية الإهدار والاستنزاف للموارد الطبيعية المحدودة، ومن الطبيعي أن تكون بلدان العالم الثالث باعتبارها البلدان الأكثر فقرا / أكثر اهتماما بهذه القضايا.

كما أن المهتمين بالريف بالتالي لابد أن يكونوا أكثر إدراكا لقيمة هذه القضايا لأن الوضع هنا ليس محصور في تلوث الهواء الذي نتنفسه وأضرار هذا على الصحة البدنية أو تلوث الشواطئ التي سيتمتع فيها السكان أو التلوث السمعي من ضوضاء السيارات. إنما القضية في هل سنجد أرض نزرعها لتطعم أبناءنا أو لا. هل سنجد مياه نظيفة نشربها ونروي بها زرعنا أم لا.

هل سنجد مكان يأوينا هل سنجد عمل نقوم به.. هل سنجد نقود ندفع بها ثمن الخرسانة والحديد أم لا. هذا ناهيك حتى عن حقوق الأجيال القادمة.

إذا نحن في حاجة للبحث داخل أدراجنا عن الدراسات الخاصة بالطوب المصنوع من مادة غير الطمي – رخيصة، ومتوفرة، ذات عزل حراري جيد وتصنيعها بسيط وسهل. والدراسات الخاصة بالطاقة المتجددة وكيفية استخدامها داخل المسكن (سواء كانت قوالح الذرة أم طاقة شمسية)، بشرط أن تكون الأرخص والأكثر توافرا والأسهل تصنيعا والأقل ضررا بالبيئة.
والدراسات الخاصة بحفظ الأطعمة الريفية (سواء هي منتجات ألبان أو قمح أو غيرها) وسواء كان الحل هو الثلاجة الكهربائية أم الزنع الفخارية أم الصوامع أم .. بشرط أيضا أن يكون الأرخص والأكثر توافرا والأسهل تصنيعا والأقل ضررا على البيئة.

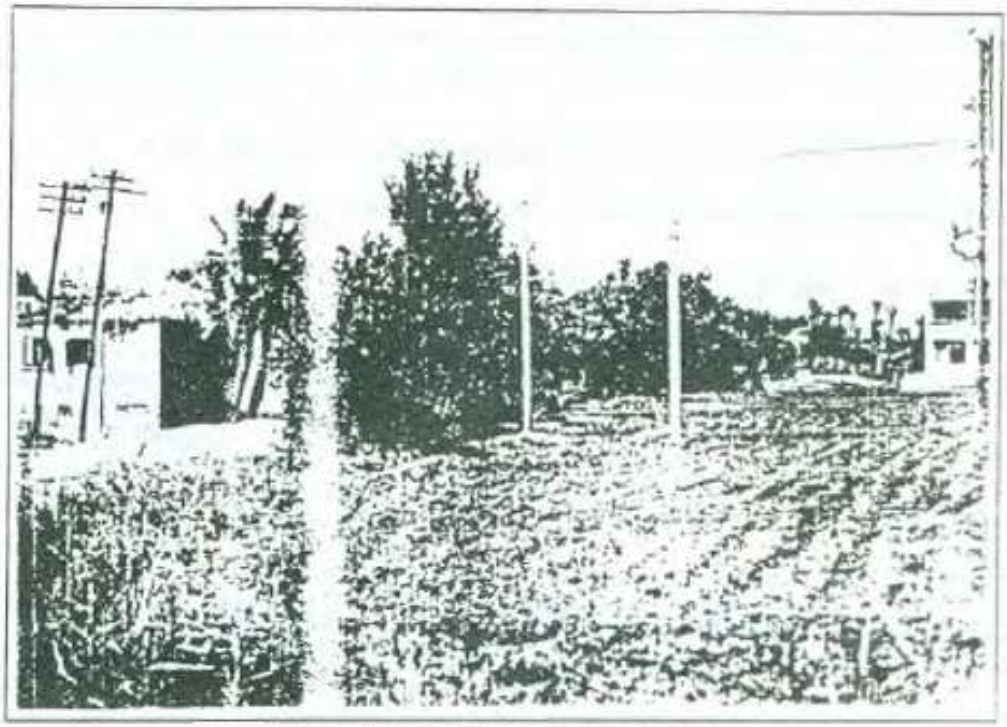

البناء المستمر داخل رقعة الأرض الزراعية

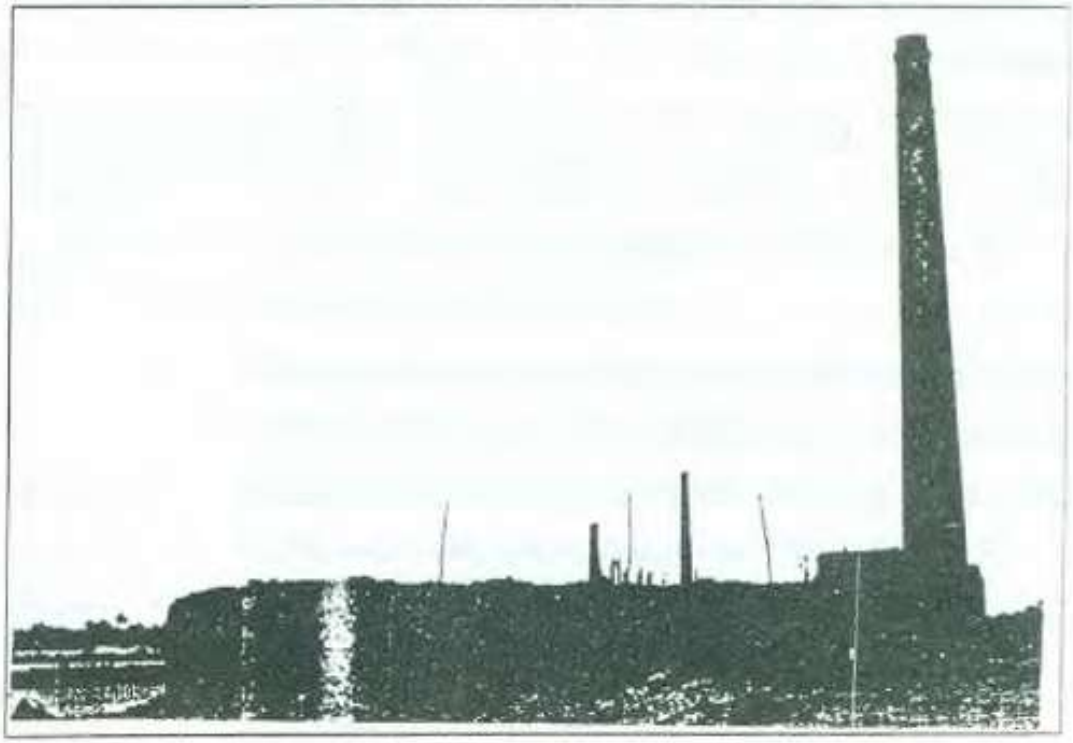

مصانع الطوب الأحمر (المحروق) لا زالت تملأ القرى المصرية

ونستطيع أن ندعي أن هناك دراسات لمعظم هذه المشاكل تحقق الشروط السابقة، لكن مـــا منها يمكن أن يتقبله السكان..

وكيف يمكن صياغة الحلول في صورة أكثر تقبلا وأسهل وصولا للسكان، ثم نبدأ بعد إيجاز ما سبق في وضع تصوراتنا عن المسكن الريفي الحالي والمستقبلي.

٣-٣ ثالث هذه القضايا يتعلق بدخول مصر في دائرة البلدان ذات الكـــوارث الطبيعيـــة المتباينة والمتكررة، وفي سرعة شديدة استجاب البـــاحثين والعلمـــاء المصريـــين كعادتهم لقضايا الوطن وقدمت العديد من الأبحاث والدراسات لبنـــاء التجمعـــات الجديدة، وأصلح سبل البناء في ظل احتمالات الزلازل أو السيول أو غيرها مـــن الكوارث.. الخ.

بقي أن تصب هذه الدراسات في القضيتان السابقتان أو فلنقل لتشمل القضيتين السابقتين فـــي طياتها ثم تستكمل لتشمل مجمل القضايا الناجمة عن الكوارث.

ثم والأهم من ذلك أن نجمع هذه المجهودات جميعا في بوتقة واحدة لنخرج بتصور قومـــي على مستوى الأقاليم المصرية يراعي القضايا الثلاث السابقة ويقدم لنا خريطة جديدة تكون بمثابـــة مرشد يسير على هداة مسئولي التعمير في المحافظات والمحليات المختلفة. تبدأ من تنميط علـــى المستوى الإقليمي يشمل مناطق الامتداد والتجمعات الجديدة، تصميمات الأبنية المختلفـــة، مـــواد وطرق البناء وخطوط التنظيم.

المـراجـــع:

د./ حسن الخولي

الريف والمدينة في مجتمعات العالم الثالث ١٩٨٣م.

د./ عبد الباسط عبد المعطي

مستقبل القرية المصرية "الأبعاد والتوجهات النظرية والمنهجية" ١٩٩٤م.

د./ غريب محمد سيد أحمد د./ عبد الباسط عبد المعطي

الاجتماع وقضايا الإنسان والمجتمع، مجتمع القرية، دراسات وبحوث ١٩٨٧م.

د./ محمد عودة

مجتمع القرية في الدول النامية: اتجاهات نظرية وبحوث واقعية ١٩٩٧م.

Crucial issues facing the rural house of the Egyptian farmer

Abstract

This research speaks focuses on the rural house of the Egyptian farmer. The research investigates the traditional rural housing that reflects the characteristics of the surrounding environment, whether in terms of compatibility with climate requirements or the use of local natural building materials available in the region, or its compatibility with the topography of the site, as well as its clear expression of prevailing customs and traditions. The 1970s and 1980s brought sharp changes that affected the Egyptian farmer which leads us to a set of urgent issues at the present time. The first of these is related to identifying the socio-economic changes of the Egyptian farmer. The second of these issues relates to the problems of the sustainable development approach in the Egyptian context. The third and final of these issues relates to the natural challenges and disasters.The paper calls for a national vision at the level of various Egyptian regions that takes into account the previous three issues, and guides for new and various building designs and construction methods.

Key words:

Rural housing - Egyptian farmer - sustainable development - natural disasters